مقالات في عقيدة أهل السنة والجماعة

جمع وإعداد

عبدالعزيز بن محمد بن علي آل عبداللطيف

دار القاسم للنشر

الرياض : ١١٤٤٢ ـ ص . ب ٦٣٧٣

ت : ٤٧٧٥٣١١ ـ فاكس : ٤٧٧٤٤٣٢

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

ⓗ دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبداللطيف، عبدالعزيز محمد.

مقالات في عقيدة أهل السنة والجماعة .- الرياض.

٩٦ ص؛ ١٢ × ١٧ سم

ردمك: ٨ - ١٣١ - ٣٣ - ٩٩٦٠

١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد

أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ٢٠/٠٠٠٨

رقم الإيداع: ٢٠/٠٠٠٨

ردمك: ٨ - ١٣١ - ٣٣ - ٩٩٦٠

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم للنشر

الرياض ١١٤٤٢ ص.ب/ ٦٣٧٣ ت/ ٤٧٧٥٣١١ فاكس/ ٤٧٧٤٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذه المقالات ـ في نظري ـ تتحدث عن قضايا جليلة في العقيدة؛ فالمقالة الأولى تسعى إلى تجلية فقه الصحابة رضي الله عنهم وعمق علمهم، والمقالة الثانية تكشف عن فقه الصحابة رضي الله عنهم في الردّ على المخالف، مع إيراد الأمثلة على ذلك.

وأما المقالة الثالثة فتبرز جهود علماء الدعوة السلفية بنجد في الردّ على المخالف، وما تتضمنه هذه الجهود من معالم نافعة لجيل الصحوة، وتُعنى المقالة الرابعة بتقرير مسائل مهمة تتعلق بالنفاق والمنافقين، وتعرض المقالة الأخيرة لمفهوم الرِّدة وأسباب ظهورها.

وقد سبق نشر هذه المقالات متفرقة في مجلة البيان، وقد رأيتُ جمعها في كتاب واحد إتماماً للفائدة، وأسأل الله تعالى أن يبارك في هذا الجهد، وأن يرزقنا حسن القصد واتباع الحق وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف

كلمات في فقه الصحابة رضي الله عنهم

الحمد لله تعالى وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد:

■ من أصول أهل السنة والجماعة التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، كما قرر ذلك الإمام أحمد بن حنبل ـ يرحمه الله تعالى[١] ـ وغيره.

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم خير قرون هذه الأمة وأفضلها كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ في قوله: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم..**» أخرجه البخاري ومسلم.

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:

«من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا والله

---

(١) انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلي ١/ ٢٤١.

أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[(١)]».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ معلقاً على هذا الأثر:

«وقول عبدالله بن مسعود: كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، كلام جامع بيّن فيه حسن مقصدهم ونياتهم ببر القلوب، وبيّن فيه كمال المعرفة ودقتها بعمق العلم، وبيّن فيه تيسير ذلك عليهم وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف[(٢)]».

وقال بعضهم للحسن البصري رحمه الله: أخبرنا صفة أصحاب رسول الله ﷺ، فبكى الحسن ثم قال: «ظهرت

---

(١) أورد ابن تيمية هذا الأثر في منهاج السنة النبوية ٢/ ٧٧ وعزاه إلى ابن بطة، ولعله في الإبانة الكبرى.
(٢) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ٢/ ٧٩.

منهم علامات الخير في السيماء والسمت والهدي والصدق، وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، وممشاهم بالتواضع، ومنطقهم بالعمل، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى، واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم، ظمئت هواجرهم، ونحلت أجسامهم، واستخفوابسخط المخلوقين في رضى الخالق، لم يفرطوا في غضب، ولم يحيفوا ولم يجازوا حكم الله في القرآن، شغلوا الألسن بالذكر، بذلوا دماءهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم من المخلوقين، حسنت أخلاقهم، وهانت مؤنتهم، وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم[(١)]».

■ لقد أدرك سلفناالصالح قدر الصحابة رضي الله عنهم، فقاموا بحقوق الصحابة علماً وعملاً، واعتقاداً وسلوكاً، فهداهم الله تعالى إلى الصراط المستقيم، وخالف المبتدعةُ

---

(١) أخرجه أبونعيم في الحلية ٢/ ١٥٠.

سبيل أهل السنة، فطعنوا في الصحابة رضي الله عنهم، وشتموهم، ومن ثم فقد ضلوا ضلالاً بعيداً، وكلما زاد سبّ المبتدعة للصحابة رضي الله عنهم، زادوا ضلالاً وغياً كما هو ظاهر في طائفة الرافضة وإخوانهم الباطنية، ويليهم في الضلال الخوارج والمعتزلة، فلما كان عداء الخوارج والمعتزلة للصحابة دون عداء الباطنية، فإن ضلالهم أقل، وانحرافهم أدنى من الباطنية، وكان الأشاعرة قريبين من أهل السنة في باب الصحابة، ولذا كانوا أقرب من غيرهم، مع أنهم لم ينفكوا عن شعبة من الرفض عندما زعموا أن مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وأحكم(١).

■ كان الصحابة رضي الله عنهم على عقيدة واحدة، فهم خير القرون، قد تلقوا الدين عن النبي ﷺ بلا واسطة، ففهموا من مقاصده ﷺ وعاينوا من أفعاله وسمعوا منه شفاهاً ما لم يحصل لمن بعدهم(٢).

---

(١) انظر التسعينية لابن تيمية ص ٢٥٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٧/ ٣٨٨.

لقد تلقوا النصوص بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها أمراً واحداً، وأجروها على سنن واحد، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع، حيث جعلوها عضين، فآمنوا ببعضها، وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين(١).

قال الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ: «قِفْ حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم، ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منها ما يشفي، وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسّر، وما دونهم مقصِّر، لقد قصّر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم»(٢).

وأوصى الإمام الأوزاعي ـ رحمه الله ـ من سأله عن

---

(١) انظر إعلام الموقعين لابن القيم ١/ ٤٩.
(٢) أخرجه أبونعيم في الحلية ٥/ ٣٣٨، وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (القدر) ٢/ ٢٤٧ عن عبدالعزيز الماجشون.

القَدر بهذه الوصية:

«وأنا أوصيك بواحدة، فإنها تجلو الشك عنك وتصيب بالاعتصام بها سبيل الرشد إن شاء الله تعالى، تنظر إلى ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من هذا الأمر، فإن كانوا اختلفوا فيه، فخذ بما وافقك من أقاويلهم، فإنك حينئذ منه في سعة، وإن كانوا اجتمعوا منه على أمر واحد لم يشذذ عنه منهم أحد، فأين المذهب عنهم، فإن الهلكة في خلافهم، وأنهم لم يجتمعوا على شيء قط، فكان الهدى في غيره، وقد أثنى الله عز وجل على أهل القدوة بهم فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، واحذر كل متأول للقرآن على خلاف ما كانوا عليه»(١).

وكان اجتهاد الصحابة في مسائل الفقه والفروع أكمل من اجتهادات من بعدهم، وصوابهم أكمل من صواب المتأخرين، وخطأهم أخف من خطأ المتأخرين(٢)، ولذا

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (القدر) ٢/ ٢٥٤.

(٢) انظر منهاج السنة النبوية ٦/ ٨٠.

قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: «هم فوقنا في كل علم وفقه ودين وهدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا»[(١)].

يقول ابن القيم ـ معلقاً على كلام الشافعي ـ: «قد كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته.. وحقيق بمن كانت آراؤهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيراً من رأينا لأنفسنا، وكيف لا وهو الرأي الصادر من قلوب ممتلئة نوراً وإيماناً وحكمة وعلماً ومعرفة وفهماً عن الله ورسوله، ونصيحة للأمة، وقلوبهم على قلب نبيهم، ولا وساطة بينهم وبينه، وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضاً طرياً لم يشبه إشكال، ولم يشبه خلاف»[(٢)].

وفي باب التعبد والسلوك كان الصحابة رضي الله عنهم أرباب النسك الشرعي الكامل ـ كما سبق وصفهم في مقالة الحسن البصري ـ يقول ابن تيمية:

«فالعلم المشروع والنسك المشروع مأخوذ عن أصحاب رسول الله ﷺ، وأما ما جاء عمن بعدهم فلا ينبغي

---

(١) انظر إعلام الموقعين لابن القيم ١/ ٨٠.
(٢) إعلام الموقعين ١/ ٨١، ٨٢ - باختصار.

أن يجعل أصلاً. . فمن بنى الإرادة والعبادة والعمل والسماع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية والأعمال البدنية على الإيمان والسنة والهدى الذي كان عليه محمد ﷺ وأصحابه فقد أصاب طريق النبوة، وهذه طريق أئمة الهدى»(١).

■ لقد خلّف الصحابة رضي الله عنهم ثروة نفيسة من الأقوال المأثورة، والمواقف العملية المسطورة في سائر المجالات من عقيدة أو فقه أو سلوك أو دعوة. . إلخ. وكم نحتاج إلى النظر في تلك الآثار، والانتفاع بها، خاصة في هذا الزمان الذي كثر فيه - ولله الحمد - من يطالب بالأخذ بالكتاب والسنة.

إن الرجوع إلى كلام الصحابة رضي الله عنهم في فهمهم للنصوص الشرعية من القواعد الجليلة والقضايا الكبيرة التي تحقق سلامة في المنهج، ونجاة من الشبهات

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٦٢، ٣٦٣ = باختصار.

والشهوات، والضلال والغي.

وأقدم لك أخي القارىء جملة من أقوال الصحابة رضي الله عنهم وما تضمنته من المعاني المهمة والمسائل المفيدة راجياً من الله تعالى أن تكون باعثاً للاستفادة من فقههم والانتفاع بعلومهم رضي الله عنهم.

■ يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لحقت بالله؛ لولا أن أسير في سبيل الله، أو أضع جبهتي في التراب ساجداً، أو أجالس قوماً يلتقطون طيب الكلام كما يُلتقط طيب الثمر**[١]».

يقول ابن تيمية في بيان عظم هذه المقالة الرائعة: «وكلام عمر رضي الله عنه من أجمع الكلام وأكمله، فإنه ملهم محدَّث، كل كلمة من كلامه تجمع علماً كثيراً، مثل هؤلاء الثلاث التي ذكرهن، فإنه ذكر الصلاة والجهاد والعلم، وهذه الثلاث هي أفضل الأعمال بإجماع الأمة،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٣/ ٢٧٢.

قال أحمد بن حنبل: أفضل ما تطوع به الإنسان الجهاد، وقال الشافعي: أفضل ما تطوع به الصلاة، وقال أبو حنيفة ومالك: العلم.

والتحقيق أن كلاًّ من الثلاثة لابد له من الآخرين، وقد يكون هذا أفضل في حال، وهذا أفضل في حال، كما كان النبي ﷺ وخلفاؤه يفعلون هذا وهذا وهذا، كلّ في موضعه بحسب الحاجة والمصلحة، وعمر جمع الثلاث»(١).

■ وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «**لا يرجون عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه**»(٢).

وقد سئل ابن تيمية عن معنى هذه العبارة، فكان مما قاله رحمه الله:

«هذا من أحسن الكلام وأبلغه وأتمه، فإن الرجاء يكون للخير، والخوف يكون من الشر، والعبد إنما يصيبه الشر بذنوبه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا

---

(١) منهاج السنة النبوية ٦/ ٧٥.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٣/ ٢٨٤.

كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ أي فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا، فحقهم عند مجيء البأس التضرع، قال عمر بن عبدالعزيز: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا ـ إلى أن قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ فنهى المؤمنين عن خوف أولياء الشيطان وأمرهم بخوفه، وخوفه يوجب فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، والاستغفار من الذنوب، وحينئذ يندفع البلاء وينتصر على الأعداء، فلهذا قال علي رضي الله عنه: **«لا يخافن عبد إلا ذنبه، وإن سلط عليه مخلوق فما سلط عليه إلا بذنوبه، فليخف الله وليتب من ذنوبه التي ناله بها ما ناله»**.

وأما قوله: لا يرجون عبد إلا ربه، فإن الراجي يطلب حصول الخير ودفع الشر، ولا يأتي بالحسنات إلا الله، ولا يذهب السيئات إلا الله، وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف

له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله».

والرجاء مقرون بالتوكل، فإن المتوكل يطلب ما رجاه من حصول المنفعة، ودفع المضرة، والتوكل لا يجوز إلا على الله، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فكل خير ونعمة تنال العبد فإنما هي من الله، فالرجاء يجب أن يكون كله للرب والتوكل عليه والدعاء له، فإنه إن شاء ذلك ويسّره كان وتيسر، ولو لم يشأ الناس»[١].

■ وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه: «**ثلاث من جمعن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالَم، والإنفاق من الإقتار**»[٢].

قال العلامة ابن القيم في شرح هذه الكلمات:

«وقد تضمنت هذه الكلمات أصول الخير وفروعه، فإن الإنصاف يوجب عليه أداء حقوق الله كاملة موفّرة، وأداء

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/ ١٦١ ـ ١٦٦ = باختصار.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٨٣): «مثله لا يقال بالرأي فهو في حكم الرفع».

حقوق الناس كذلك، وأن لا يطالبهم بما ليس له، ويعاملهم بما يحب أن يعاملوه به، ويحكم لهم وعليهم بما يحكم به لنفسه وعليها، ويدخل في هذا إنصافه نفسه من نفسه، فلا يدّعي لها ما ليس لها، ويُنميها ويرفعها بطاعة الله تعالى وتوحيده، وحبّه وخوفه.

وبذل السلام للعالم يتضمن تواضعه وأنه لا يتكبر على أحد، بل يبذل السلام للصغير والكبير، والشريف والوضيع، ومن يعرفه ومن لا يعرفه..

وأما الإنفاق مع الإقتار فلا يصدر إلا عن قوة ثقة بالله، وأن الله يُخلفه ما أنفقه، وعن قوة يقين، وتوكل، ورحمة، وزهد في الدنيا، ووثوق بوعد من وعده مغفرةً منه وفضلاً، وتكذيباً بوعد من يعده الفقر ويأمر بالفحشاء»[(١)].

وجاء في فتح الباري:

«قال أبو الزناد بن سراج وغيره: إنما كان من جمع الثلاث مستكملاً للإيمان؛ لأن مداره عليها، لأن العبد إذا

---

(١) زاد المعاد ٢/٤٠٧ ـ ٤١٠ ـ باختصار.

اتصف بالإنصاف لم يترك لمولاه حقاً واجباً عليه إلا أداه، ولم يترك شيئاً مما نهاه عنه إلا اجتنبه، وهذا يجمع أركان الإيمان، وبذل السلام يتضمن مكارم الأخلاق والتواضع وعدم الاحتقار، ويحصل به التآلف والتحابب، والإنفاق من الإقتار يتضمن غاية الكرم لأنه إذا أنفق مع الإقتار كان مع التوسع أكثر إنفاقاً، وكونه مع الإقتار يستلزم الوثوق بالله والزهد في الدنيا وقصر الأمل وغير ذلك من مهمات الآخرة»(١).

■ وقال أبوالدرداء رضي الله عنه: «**يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم، كيف يغبنون به قيام الحمقىٰ وصومهم، والذرة من صاحب تقوىٰ أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين**»(٢).

قال ابن القيم معلقاً على تلك العبارة: «وهذا من جواهر الكلام وأدله على كمال فقه الصحابة وتقدمهم على من

---

(١) فتح الباري ١/ ٨٣.

(٢) أخرجه أبونعيم في الحلية ١/ ٢١١.

بعدهم في كل خير رضي الله عنهم.

فاعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهمته لا ببدنه، والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾، وقال النبي ﷺ: «**التقوى ههنا**» وأشار إلى صدره، فالكيّس يقطع من المسافة بصحة العزيمة وعلو الهمة وتجريد القصد وصحة النية مع العمل القليل أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك مع التعب الكثير... إلخ»(١).

■ وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه لا يجلس مجلساً للذكر إلا قال حين يجلس: «**الله حكم قسط، تبارك اسمه، هلك المرتابون، إن وراءكم فتناً يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والحر والعبد، فيوشك قائل أن يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن، ما هم**

---

(١) الفوائد لابن القيم ص ١٣٣، ١٣٤.

بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة، واحذروا زيغة الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق، فاقبلوا الحق فإن على الحق نوراً، فقالوا: وما يدرينا رحمك الله إن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة؟ قال: هي كلمة تنكرونها منه وتقولون ما هذه، فلا يثنيكم فإنه يوشك أن يفيء ويراجع بعض ما تعرفون[١]».

بهذه الكلمات النافعات لمعاذ بن جبل رضي الله عنه أختم هذه المقالة، ولعل القارىء الحصيف يُعمل فكره وتأمله في تلك العبارات والله المستعان.

---

(١) أخرجه أبونعيم في الحلية ١/ ٢٣٢، ٢٣٣.

فقه الصحابة رضي الله عنهم في الردّ على المخالف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـد:

فالرد على المخالف والذبّ عن دين الله تعالى من أفضل الجهاد في سبيل الله تعالى، ففي هذا الجهاد إظهار الحق، ودحض المفتريات، وكشف الشبهات، كما أن فيه النصح للمسلمين والإشفاق عليهم.

ولمّا قيل للإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحبّ إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا

أفضل[١].

وقال يحيى بن يحيى النيسابوري ـ رحمه الله ـ: «الذبّ عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله تعالى»[٢].

ولما كان الصحابة رضي الله عنهم أعمق هذه الأمة علماً، وأكمل معرفة بالخير والشر، وأتمّ الناس فقهاً لمراتب الأعمال الصالحة، فلقد كانت لهم الجهود المباركة والمساعي المحمودة في مجاهدة المبتدعة والدفاع عن السنة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«كان الصحابة رضي الله عنهم أعظم إيماناً وجهاداً ممن بعدهم، لكمال معرفتهم بالخير والشر، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر، لما علموه من حسن حال الإسلام والإيمان والعمل الصالح، وقبح حال الكفر والمعاصي.

ـ إلى أن قال ـ وكذلك من دخل مع أهل البدع والفجور، ثم بيّن الله له الحق وتاب عليه توباً نصوحاً،

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٨/ ٢٣١.
(٢) سيرأعلام النبلاء ١٠/ ٥١٨.

ورزقه الجهاد في سبيل الله، فقد يكون بيانه لحالهم، وهجره لمساويهم، وجهاده لهم أعظم من غيره، قال نعيم بن حمّاد الخزاعي ـ وكان شديداً على الجهمية ـ أنا شديد عليهم؛ لأني كنت منهم..»[١].

ومن جهودهم الظاهرة في هذا المجال ما فعله الفاروق عمر رضي الله عنه تجاه صبيغ ـ لما خاض في المتشابه ـ حيث ضربه ونفاه.. وحرّق علي ـ رضي الله عنه ـ الغلاة القائلين بإلهيته، وجلد مَن فضّله على الشيخين ـ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ـ حد المفتري، وردّ عبدالله بن عمر وابن عباس وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم الخوارج والقدرية.. كما حذّر عموم الصحابة من الابتداع والإحداث في دين الله تعالى.

ومن خلال نظرات يسيرة في تلك الجهود نلمس جملة أمور منها:

● تمام الاتباع وكمال التأسي برسول الله ﷺ في الرد على

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٣٠١، ٣٠٣ = باختصار، وانظر الفوائد لابن القيم ص ١٠١.

المخالف، ودليل ذلك حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم، والناس يتكلمون في القدر، فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم، يقول ابن عمرو: فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله لم أشهده، بما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده(١). وتأسى عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ برسول الله في ذلك، فلما بلغه حال أولئك القدرية النفاة، غضب أشد الغضب، حتى قال الراوي: حتى وددت أني لم أكن سألته(٢).

ولما أخبر ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل يكذب بالقدر، فقال: دلوني عليه ـ وهو يومئذ أعمى ـ فقالوا له: ما تصنع به؟ فقال: والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته بيدي

(١) أخرجه أحمد ٢/ ١٧٨، وابن ماجه (٨٥)، وانظر أصول اللالكائي ٣/ ٦٢٧، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٣٨ ـ ١٤١.
(٢) أصول اللالكائي ٣/ ٥٨٨.

لأدقنها[١].

● أن الصحابة رضي الله عنهم يجمعون في ردهم على المخالف بين العلم بالحق والعمل به، وبين الرحمة بالخلق والإشفاق عليهم، والردّ على المخالف لا يكون عملاً صالحاً مقبولاً إلا إذا أريد به بيان الحق وإظهاره، ورحمة الخلق وهدايتهم.

فهذا أبوأمامة الباهلي رضي الله عنه يقول الحق ويرحم الخلق، فإنه لما رأى سبعين رأساً من الخوارج وقد جزت تلك الرؤوس ونصبت على درج دمشق، فقال رضي الله عنه إعلاماً بالحق: سبحان الله، ما يصنع الشيطان ببني آدم، كلاب جهنم، شر قتلى تحت ظل السماء. ثم قال أبوأمامة لصاحبه: إنك بأرض هم بها كثير، فأعاذك الله منهم، ثم بكى قائلاً: بكيت رحمة لهم حين رأيتهم كانوا من أهل الإسلام[٢].

---

(١) أصول اللالكائي ٣/ ٦٢٥، وانظر ٣/ ٦٦٩، والسنة لعبدالله بن الإمام أحمد ٢/ ٤١٦.

(٢) انظر مرويات هذه القصة في: الفتح الرباني للساعاتي ٢٣/ ١٦٠، =

● يتجلى من خلال ردّ الصحابة على المخالف وحدة العقيدة، فقولهم في هذا الباب قول واحد لفظاً ومعنى، فلا ترى بينهم اختلافاً، وخير مثال على ذلك ما رواه ابن الديلمي قائلاً: أتيت أبيّ بن كعب فقلت: أبا المنذر فإنه وقع في قلبي شيء من هذا القدر، فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه عني. فقال: إن الله عز وجل لو عذب أهل سمٰواته وأهل أرضه لعذبهم غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل جبل أحد ذهباً أنفقته في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وإنك إن مت على غير هذا دخلت النار، ولا عليك أن تأتي عبدالله بن مسعود فتسأله، فأتيت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فسألته، فقال مثل ذلك، ثم قال ابن مسعود: ولا عليك أن تأتي أخي حذيفة ابن اليمان فتسأله، فأتيت حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

= والسنة لعبدالله بن الإمام أحمد ٢/ ٦٤٤، وانظر: الاعتصام للشاطبي ١/ ٧١ ـ ٧٣، والآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٢٤.

فسألته فقال مثل ذلك، قال: فأت زيد بن ثابت، فأتيت زيد بن ثابت، فقال مثل ذلك[١].

● يظهر في ردود الصحابة رضي الله عنهم على المخالفين عمق علم الصحابة، فيقول الصحابي الكلمة أو الكلمتين التي تتضمن أنواعاً من الفوائد والعلوم، وترى في ردهم شمولية واعتدالاً في الردّ.

فعندما يقول الفاروق عمر رضي الله عنه ـ عن النصارى ـ: أهينوهم، ولا تظلموهم، فلقد سبوا الله مسبة ما سبّه إياها أحد من البشر[٢].

فقول عمر: «أهينوهم» من مقتضى البراءة من الكافرين، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ فحق الكفار العداوة والبغضاء حتى يؤمنوا بالله وحده، وأن نهينهم حيث أهانهم الله تعالى، ومن يهن الله فما له من مكرم، ولذا قال عمر رضي الله

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ١٨٢، وأبو داود (٤٦٩٩)، وانظر السنة لعبدالله بن الإمام أحمد ٢/ ٣٨٨، وأصول اللالكائي ٣/ ٦١٢، ٦٧٣.

(٢) انظر إغاثة اللهفان لابن القيم ـ ت: محمد عفيفي ـ ٢/ ٣٩٨.

عنه: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله[١].

وأما قول عمر: ولا تظلموهم، فهذا مقتضى العدل والإقساط معهم، كما قال سبحانه: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

ففرّق عمر رضي الله عنه بين حسن المعاملة مع الكفار، وبيّن بغض الكفار والبراءة منهم، فلا يصح الخلط بين الأمرين، فيجعل العدل والإقساط مع الكفار محبة وموالاة للكفار، كما لا يصح أن يجعل بغضهم وعداوتهم ظلماً وتعدياً[٢].

● يتبين ـ في ردود الصحابة على المخالفين ـ حدة أذهانهم، ودقة أفهامهم، ومما يوضح ذلك أن عطاء بن يسار لما سأل أبا سعيد الخدري رضي الله عنه عن

---

(١) انظر أحكام أهل الذمة لابن القيم ـ ت: صبحي الصالح ـ ١/ ٢١١.
(٢) انظر الفرق بين الإحسان لأهل الذمة وبين العداوة لهم في كتاب الفروق للقرافي ٣/ ١٤، ١٥.

الحرورية فقال عطاء: هل سمعت رسول الله ﷺ ذكرها، فقال أبوسعيد، لا أدري مَن الحرورية، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج في هذه الأمة ـ ولم يقل منها ـ قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم[١] .. الحديث.

«قال المازري: هذا من أول الدلائل على سعة علم الصحابة رضي الله عنهم، ودقيق نظرهم، وتحريرهم الألفاظ، وفرقهم بين مدلولاتها الخفية؛ لأن لفظة «مِن» تقتضي كونهم من الأمة لا كفاراً، بخلاف «في»..[٢]».

● يقرر الصحابة رضي الله عنهم في ردهم على المخالفين والمبتدعين صلة هذه البدع بالملل والديانات السابقة، مما يدل على سعة علمهم، وغزارة معرفتهم، وبعد أفقهم. ومن ذلك مقالة ابن عباس رضي الله عنهما: «اتقوا هذا الإرجاء؛ فإنه شعبة من النصرانية»[٣]. ولا غرابة في ارتباط تلك البدع بالملل الأخرى، فإن الأفكار لاتموت، ولكل

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) صحيح مسلم بالنووي ٧/ ١٦٤.
(٣) أخرجه اللالكائي ٣/ ٦٣١.

قوم وارث، وأما توجيه هذا الارتباط بين النصرانية والإرجاء ـ والذي أشارت إليه مقالة ابن عباس ـ فيبدو ـ والله أعلم ـ أن من القواسم المشتركة بين الطائفتين أن النصارى زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، كما ادعى المرجئة لأنفسهم ـ وكذا لجميع الفساق والعصاة ـ أنهم مؤمنون كاملو الإيمان.

كما يغلب على النصارى التفريط والتقصير، فلا يرون شيئاً حراماً ولا نجساً، ويأكلون الخبائث(١)، وشابههم المرجئة في هذا التفريط فضيّعوا الواجبات وانتهكوا المحرمات.

وقد ورث سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ هذا العمق وسعة الأفق من شيخه ابن عباس رضي الله عنهما، فقال سعيد: «المرجئة مثل الصابئة»(٢).

وقد حفلت مرويات الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ

---

(١) انظر الجواب الصحيح فيمن بدّل دين المسيح ١/ ٢٣١، ٢/ ٥٢.
(٢) أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة ١/ ٣٢٤، وابن بطة في الإبانة الكبرى ٢/ ٨٨٨.

وسيرهم بأنواع من الحوارات الهادفة والردود القوية تجاه المخالفين، ونكتفي بمثال واحد مع التعليق عليه:

■ عن عمرو بن سلمة الهمداني قال: كنا نجلس على باب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبوموسى الأشعري، فقال: أخَرَجَ إليكم أبوعبدالرحمن بعد؟ قلنا لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبوموسى: يا أبا عبدالرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر ـ والحمد لله ـ إلا خيراً، قال: فما هو؟ قال: إن عشت ستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً، ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك. قال: أفلا تأمرهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحِلق، فوقف عليهم، فقال: ما

هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبدالرحمن حصى نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويْحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْلَ، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة! قالوا: والله يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله حدثنا إن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، وايم الله لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم.

قال عمرو بن سلمة: فرأينا عامة أولئك الحِلق يطاعوننا يوم النهروان مع الخوارج(١).

لقد تضمن هذا الأثر فوائد عديدة ودروساً مفيدة، فنذكر بعضاً منها(٢).

---

(١) أخرجه الدارمي ١/ ٧٩ وانظر «الصحيحة» للألباني ح (٢٠٠٥).

(٢) أورد الكاتب أحمد سلاّم بعض المعالم المهمة والمستفادة من هذا =

١ ـ ضرورة الرجوع إلى فهم الصحابة رضي الله عنهم للنصوص الشرعية، والاستعانة بتفسير الصحابة للسنة النبوية.

فالصحابة رضي الله عنهم شهدوا تنزيل القرآن، وعرفوا خاصّه وعامه، وهم أعلم الأمة بحديث رسول الله وسيرته ومقاصده[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومعلوم أن كل من سلك إلى الله عزّ وجلّ علماً وعملاً بطريق ليست مشروعة موافقة للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، فلابد أن يقع في بدعة قولية أو عملية، فإن السائر إذا سار على غير الطريق المهيع فلابد أن يسلك بنيات الطريق[٢]».

٢ ـ أن الإعراض عن فقه الصحابة لنصوص الوحيين من أسباب الزيغ والضلال، وهذا ما أشار إليه ابن مسعود رضي الله عنه بقوله: «والذي نفسي بيده إنكم لعلى

= الأثر في كتابه «ماأنا عليه وأصحابي» ص ٤٧ ـ ٥١.

(١) انظر مجموع الفتاوى ٤/ ١٥٨، ٧/ ٣٩٠.

(٢) شرح الأصفهانية ص ١٢٩.

ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة!»، وصدق ابن مسعود رضي الله عنه، وصحت فراسته، فقد آل الأمر بهؤلاء إلى أن سلكوا طريق الخوارج الضالين، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾.

٣ ـ أن البدع والانحرافات تبدأ شيئاً فشيئاً.. فأول ما تكون شبراً، ثم تصير ذراعاً، ثم تؤول إلى أميال وفراسخ، فبداية هؤلاء الإعراض عن سنة التسبيح بالأنامل، والاشتغال بالذكر بطريقة مبتدعة.. إلى أن انتهى بهم الأمر إلى الخروج عن جماعة المسلمين وقتال أهل الإسلام.

وقد أشار الإمام مجاهد رحمه الله إلى تدرج البدع، وأنها طريق إلى الشرك فقال: «يبدؤن جهمية، ثم يكونون قدرية، ثم يصيرون مجوساً»[(١)].

(١) أخرجه اللالكائي في أصول أهل السنة ٣/ ٦٤٥.

«ولهذا كان الرفضُ أعظم أبواب النفاق والزندقة، فإنه يكون الرجل واقفاً، ثم يصير مفضلاً، ثم يصير سباباً، ثم يصير غالياً، ثم يصير جاحداً معطلاً[١]».

٤ ـ أن النية الحسنة وإرادة الخير لا تكفي وحدها، كما قال ابن مسعود: «وكم من مريد للخير لن يصيبه»، فيتعين الاتباع للسنة وموافقة الصواب، فليس العبرة بالإكثار من العبادة دون اتباع وسنة، ولذا قال ابن مسعود ـ أيضاً ـ: «اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة»[٢].

٥ ـ أن ثمة تلازم بين مخالفة الحق ووقوع العداوة والبغضاء، فإن الخوارج ـ وكذا أهل الأهواء عموماً ـ لما أعرضوا عن السنة وفقه الصحابة، وفهموا القرآن حسب أهوائهم. أدى بهم ذلك إلى أن جعلوا القرآن عضين، فآمنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعضه، مما أوجب العداوة والبغضاء فيما بينهم، وفي المقابل

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٤٢٨.
(٢) أخرجه اللالكائي في أصول أهل السنة ١/ ٥٥.

فإنه لما آمن الصحابة ومن تبعهم بإحسان بجميع النصوص الشرعية أورثهم ذلك اجتماعاً واتفاقاً. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾.

يقول ابن تيمية ـ في بيان معنى هذه الآية ـ:

«فأخبر أن نسيانهم حظاً مما ذكروا به وهو ترك العمل ببعض ما أمروا به، كان سبباً لإغراء العداوة والبغضاء بينهم، وهكذا هو الواقع في أهل ملتنا مثلما نجده بين الطوائف المتنازعة في أصول دينها وكثير من فروعه..[1]».

وفي ختام هذه المقالة أسأل الله تعالى أن يرزقنا الفقه في الدين، وأن يحشرنا في زمرة النبيين والصديقين وبالله التوفيق.

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٤.

وقفات مع جهود علماء نجد في الرد على المخالفين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

الرد على المخالفين ـ سواءً كانوا من المبتدعة أو الكافرين أو المنافقين أو غيرهم ـ نوع من الجهاد في سبيل الله تعالى، فهو من أفضل القربات وأعظم الطاعات، ففيه إظهار السنة، والتحذير من البدعة، والقضاء على الفتنة، واستبانة سبيل المجرمين.

والرد على المخالف لا يكون عملاً مقبولاً إلا إذا أريد به بيان الحق وإظهاره، ورحمة الخلق وهدايتهم، كما كان أهل السنة قديماً وحديثاً: يعلمون الحق ويرحمون الخلق.

وليس الحديث عن علماء نجد تعصباً لإقليم أو عرق .. نعوذ بالله من دعاوى الجاهلية ونعرات القومية والوطنية، لكنه الحديث عن الأقربين، ممن لهم مواقف

رائعة مغمورة، وأياد بيضاء منسية، وجهاد ودعوة، وصبر وتضحية. ومع أن علماء نجد كانوا منشغلين بالتدريس والفتيا والقضاء والقتال في سبيل الله تعالى، إلا أنهم اجتهدوا في الرد على المخالفين أيّا كانوا، فصدعوا بالحق لا يخافون في الله لومة لائم، فلم تمنعهم سطوة أحد من الخلق عن إبلاغ رسالات الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾.

اجتهد علماء نجد في الرد على المخالفين وسطّروا كتباً كثيرة ورسائل متعددة في الرد على طوائف الكفر وأهل البدع وسائر المخالفات لدين الله تعالى، ودوّنوا أجوبة شافية في إزالة إشكالات وكشف شبهات، وحسبك أن تلقي نظرة إلى الجزء التاسع من كتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» وعنوانه: «مختصرات الردود»، وتبلغ صفحات هذا الجزء ثمان وأربعين وأربعمائة صفحة من الحجم الكبير، مع أن هذا الجزء يقتصر على بعض الردود لا كلها، وعلى مختصرات الردود دون مطولاتها.

ومن خلال متابعة وإطلاع لجملة من هذه الردود، أسوق جملة من الوقفات:

١ـ كثرة الردود وتعددها وشمولها:

ما أكثر الكتب والرسائل التي دوّنها علماء نجد في الرد على المخالفين وما أكثر القصائد التي نظمها العلماء في الجواب عن المبتدعة وبقية المخالفين، وقد تميز بعض علماء نجد بكثرة الردود وتعددها، ومن ذلك الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٨٥هـ) وابنه العلامة عبداللطيف (ت ١٢٩٣هـ)، والشيخ سليمان بن سحمان (ت ١٣٤٩هـ)، والشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري (ت ١٣٩٩هـ)، والشيخ حمود بن عبدالله التويجري (ت ١٤١٣هـ) رحمهم الله جميعاً.

لقد كتب الشيخ عبدالرحمن بن حسن ردّاً على ابن جرجيس النقشبندي، وجملة من الردود على عثمان بن منصور، ورداً على ابن حميد ـ صاحب السحب الوابلة ـ ورداً على عبدالمحمود الكشميري، ورداً على رجل من أهل فارس، ورداً على رجل من أهل الأحساء..

وأما الردود التي حررها العلامة عبداللطيف فهي كثيرة، منها: رد مطول وآخر مختصر على داود بن جرجيس، ومة من الردود على عثمان بن منصور، والبراهين

الإسلامية في الرد على الشبهات الفارسية، وردّ على الصحاف، والبولاقي، وابن عمير..

وأما الردود التي كتبها الشيخ ابن سحمان فهي كثيرة جداً، منها: الأسنة الحداد في الردّ على علويّ الحداد، والصواعق المرسلة الشهابية (ردّ على محمد الكسم)، وكشف غياهب الظلام (رد على مختار العظم)، والضياء الشارق (رد على الزهاوي)، وله قصائد طويلة في ديوانه، «عقود الجواهر المنضدة الحسان» في الرد على أئمة الضلال كدحلان والنبهاني ونحوهم.

وحرر الشيخ عبدالرحمن الدوسري عدداً من المقالات والقصائد في هذا الباب، فكتب رداً على أحمد زكي محرر مجلة العربي، ونظم قصيدة في الرد على الشاعر القروي، وردّ على القوميين والاشتراكيين في مقالات متعددة نشرت في مجلة راية الإسلام ـ الصادرة من نجد آنذاك ـ وغيرها.

ودوّن الشيخ حمود التويجري عدة ردود منها: إيضاح المحجة في الرد علي صاحب طنجة (رد على أحمد الصديق الغماري)، والرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي، والانتصار على من أزرى المهاجرين

والأنصار (ردّ على عبدالله السعد)، والسراج الوهاج لمحو أباطيل الشلبي عن الإسراء والمعراج.

ولم يقتصر علماء نجد في ردودهم على طائفة معينة فحسب، بل شملت ردودهم جميع الطوائف والمبتدعة، فكتبوا في الرد على الملاحدة الزنادقة، والنصارى، والباطينة، والمتصوفة، والخرافيين، والأشاعرة وغيرهم.

٢ـ تنوع الردود حسب اختلاف الأحوال:

تنوعت ردود علماء نجد واختلفت حسب ما استجد من الانحرافات والمخالفات، فغلب على رسائل أئمة الدعوة ـ زمن الدولة السعودية الأولى ـ الرد على المخالفين في توحيد العبادة لكثر المخالف آنذاك، وأظهر مثال على ذلك ما نجده في مؤلفات ورسائل الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ.

ولما انتشرت الدعوة السلفية في بقية أنحاء الجزيرة العربية وخارجها، احتاج الأمر إلى زيادة بيان وتفصيل في مبحث الأسماء والصفات، وذلك لغلبة الانحراف في هذا الباب في كثير من بلاد المسلمين، كما نجده جلياً في رسائل الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين (ت ١٢٨٢هـ)

والشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه العلامة عبداللطيف.

وفي هذا الزمان استفحل حكم الطاغوت في بلاد المسلمين، المتمثل في القوانين الوضعية، فاهتم علماء نجد بالرد على تلك القوانين، ومن ذلك ما سطّره العلامة محمدبن إبراهيم في رسالته «تحكيم القوانين» وفتاويه وأجوبته المتعددة في تقرير الحاكمية لله تعالى، ونقد المؤسسات الوضعية والأنظمة الطاغوتية[١]، وكتب الشيخ عبدالرحمن الدوسري كتاباً ـ في ثلاثة أجزاء ـ بعنوان «الحق أحق أن يتبع» في نقد القوانين الوضعية.

ولما ظهرت موجة الإلحاد والاستهزاء بالغيبيات، وإنكار وجود الله تعالى، كما هو عند الشيوعيين، انبرى لهم علماء نجد، فكتب الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) رسالة بعنوان: «الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين»، وكتب رسالة أخرى بعنوان «انتصار الحق» في الرد على الملاحدة.

---

(١) انظر فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ١٢/ ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٦٤ ـ ٢٧٠، ٤٦٨.

وكتب ابن سحمان جواباً عن أسئلة ألقاها بعض زنادقة عصره سنة ١٣٣٢هـ، تتضمن هذه الأسئلة طعناً في الحكمة الإلهية في تشريع مناسك الحج، وسمى جوابه «إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل».

وعندما زاغ عبدالله بن علي القصيمي، تصدى له علماء نجد بالردّ، فألّف الشيخ السعدي رسالة بعنوان «تنزيه الدين وحملته مما افتراه القصيمي في أغلاله»، وألفّ الشيخ إبراهيم السويح (ت ١٣٦٩هـ) كتاباً بعنوان: «بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال» وصنف الشيخ عبدالله بن يابس (ت ١٣٨٩هـ) كتاباً بعنوان: «الرد القويم على ملحد القصيم».

٣ ـ لم تكن هذه الردود ترفاً أو فضولاً أو كلاماً بارداً، لقد كان الباعث على تدوين تلك الردود هو الغيرة على دين الله تعالى، والذبّ عن شعائر الله، والغضب لحرمات الله عز وجل، فهذه الجهود في الردّ على المخالفين من مقتضيات الولاء والبراء، ومن لوازم الحبّ في الله والبغض في الله، والذي يعدّ أوثق عرى الإيمان كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم. ومن ثم فإن أحدهم يرد على

المخالف أياً كان، سواء كان حاكماً أو محكوماً، قريباً أو بعيداً. مع مراعاتهم لأحوال الناس ومنازلهم، ومدى قربهم أو بعدهم عن الحق، فعلى سبيل المثال نجد الشيخ حمد بن عتيق (ت ١٣٠١هـ) يردّ على اعتراضات أحد الحكام في زمانه، كما ردّ على أخطاء في تفسير فتح البيان للشيخ محمد صدِّيق حسن ـ رحمه الله ـ، وكان الشيخ حمد في غاية الصلابة والشدة مع ذاك الحاكم، بينما كانت رسالته للشيخ محمد صدّيق حسن في غاية اللطف واللين، فمع ما وقع فيه الشيخ محمد صديق من أخطاء وهنات في تفسيره، ومع ما اشتهر عن ابن عتيق من الغيرة الإيمانية والقوة في دين الله تعالى، إلا أننا نجد الشيخ ابن عتيق يلتمس لمحمد صدّيق المعاذير، ويحسن الظن به، لما كان عليه محمد صدّيق من عموم الاتباع لمذهب السلف الصالح.

لقد صدع الشيخ حمد بن عتيق بكلمة الحق أمام حكام زمانه، فلم يداهن أحداً منهم، بل ردّ عليهم دون خوف أو وجل فقال في إحدى رسائله ـ مخاطباً أحدهم ـ: «وأما ما ذكرت من التخويفات فجوابه: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾

ونصدع بالحق إن شاء الله، ولا قوة إلا به، ولا يمنعنا من ذلك تخويف أحد»[١].

ولا غرابة أن يقوم الشيخ هذا المقام الرفيع، فلقد كان الذبّ عن هذا الدين والغيرة على المسلمين شغله الشاغل، وهمه الوحيد، حتى أنه كتب جواباً لمن عزاه في وفاة ابنيه قائلاً: «ولكن والله ما بلغت مصيبتي بالابنين معشار ما بلغ بي من المصيبة التي حلت بكثير من الإخوان.. بينما الرجل يدعو إلى التوحيد ويحذِّر من أهل الشرك إذا هو منقلب على عقبيه»[٢].

٤ ـ الانتصار لإخوانهم العلماء:

فإذا ردّ أحد هؤلاء الأعلام على بدعة أو مخالفة، فلا عجب أن يرد المخالف على هذا العالم، ومن ثم قام علماء نجد بالذبّ عن إخوانهم وحماية أعراضهم، وتقرير صحة ردودهم وتأكيدها.

ومن ذلك أن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين كتب

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٧/ ٢٦١.
(٢) هداية الطريق في رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن عتيق ص ٢٢٩.

رسالة في تخطئة البوصيري في بردته، فقام أحدهم بالذب عن تلك البردة والرد على المعتقد الصحيح، فانبرى الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب للدفاع عن الشيخ أبي بطين وتقرير صواب رسالته.

ودافع الشيخ العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن عن الشيخ حمد بن عتيق، عندما كتب الشيخ حمد ابن عتيق رسالة في التحذير من موالاة الكفار، فشنع بعض الشامتين بالشيخ حمد واستغلوا بعض الهنات في عبارات الشيخ حمد، فبادر الشيخ عبداللطيف بالدفاع عنه فكان مما قاله: «فيجب حماية عرض من قام لله وسعى في نصر دينه الذي شرعه، وترك الالتفات إلى زلاته والاعتراض على عباراته» فالأمر سهل في جنب تلك الحسنات «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

فليصنع الركب ما شاؤا لأنفسهم
هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

ولما قال المتوكل لابن الزيات: يا ابن الفاعلة وقذف

أمه، قال أحمد: أرجو الله أن يغفر له، نظراً إلى حسن قصده في نصر السنة وقمع البدعة»[١].

٥ ـ لا تنفك هذه الردود عن جوانب عملية ومواقف ظاهرة، فليست مجرد ردود نظرية علمية فحسب، بل اقتضت موجبها من الهجر، أو القتل، أو القتال ونحو ذلك.

فالشيخ محمد بن عبدالوهاب في رده على ابن سحيم يقول: «بل والله الذي لا إله إلا هو لو يعرف الناس الأمر على وجهه لأفتيت بحل دم ابن سحيم وأمثاله ووجوب قتالتهم، كما أجمع على ذلك أهل العلم كلهم، لا أجد في نفسي حرجاً من ذلك»[٢].

ويقول الشيخ عبدالله أبو بطين عن أحد المنتسبين للعلم المردود عليهم: «وابن عجلان أقل الأحوال هجره، وأما النصيحة فلا تفيد في مثله»[٣].

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣/ ١٦٢، ١٦٣.
(٢) مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ٥/ ٣١٥.
(٣) الدرر السنية ٩/ ٢٦٩.

وأفتى الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم بجواز قتل رافضي تطاول على أصحاب رسول الله ﷺ(١).

ومن المواقف العملية في هذا الصدد، ما فعله المحسن مقبل بن عبدالعزيز الذكير حيث أنشأ نادياً في البحرين لتحرير المقالات وإعداد الردود على النصارى الذين انتشروا في أطراف الجزيرة العربية، وقد تولى الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع (ت ١٣٨٥هـ) رئاسة النادي، وقام به خير قيام(٢).

٦ ـ سلك بعض علماء نجد أسلوب المناظرة مع المخالفين، عندما دعت الحاجة إلى مثل تلك المناظرات، ومن ذلك ما وقع في المناظرة بين الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصيّن وبين علماء مكة المكرمة سنة ١١٨٥هـ، وكان المناظرة في بعض مسائل توحيد العبادة، وقد أقنعهم الشيخ الحصيّن بالصواب، واعترفوا بأن هذا دين الله

---

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ٢٥٠، ١٢/ ١٨٧ ـ ١٩٠.
(٢) علماء نجد خلال ستة قرون للبسام ٣/ ٨٣٠.

تعالى[١].

كما وقعت مناظرة بين الشيخ حمد بن ناصر بن معمر (ت ١٢٢٥هـ) وبين علماء مكة سنة ١٢١١هـ، وقد أذعن علماء مكة لمقالته، وطلبوا من الشيخ ابن معمر تأصيل براهينه، وتسجيل ما ناظرهم به، فكتب في ذلك رسالة مفيدة[٢].

٧ ـ كان الرد على المخالف يأخذ مسلكاً دعوياً يراد به دعوة المخالف إلى اتباع الحق والدليل، مع رحمته والإحسان إليه.

ومن ذلك قصة الشيخ أحمد بن عيسى (ت ١٣١٩هـ) مع التاجر التلمساني، كما حكاها الشيخ محمد نصيف قائلاً:

«كان الشيخ أحمد بن عيسى يشتري الأقمشة من جدة من عبدالقادر التلمساني أحد تجار جدة بمبلغ ألف جنيه ذهباً، فيدفع له منها أربعمائة، ويقسط عليه الباقي، وآخر قسط يحل ويستلم التلمساني إذا جاء إلى مكة للحج من كل

---

(١) انظر تفصيل هذه المناظرة في روضة الأفكار لابن غنام ١/ ١٣١ ـ ١٣٣.

(٢) طبعت هذه الرسالة بعنوان «الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكمِّ السنة والكتاب»، وانظر تفصيل هذه المناظرة في روضة الأفكار ١/ ٢٠٠، ٢٠١.

عام، ثم يبتدئون من أول العام بعقد جديد، ودام التعامل بينهما زمناً طويلاً، وكان الشيخ أحمد بن عيسى يأتي بالأقساط في موعدها المحدد لا يتخلف عنه ولا يماطل في أداء حقه، فقال له التلمساني: إني عاملت الناس أكثر من أربعين عاماً فما وجدت أحسن من التعامل معك ـ يا وهابي ـ فيظهر أن ما يشاع عنكم يا أهل نجد مبالغ فيه من خصومكم السياسيين، فسأله الشيخ أن يبيّن له هذه الشائعات، فقال إنهم يقولون إنكم لا تصلون على النبي ﷺ ولا تحبونه، فأجابه الشيخ أحمد بقوله: سبحانك هذا بهتان عظيم.

إن عقيدتنا ومذهبنا أن من لم يصل على النبي ﷺ في التشهد الأخير فصلاته باطلة، ومن لا يحبه فهو كافر، وإنما الذي ننكره نحن، أهل نجد، هو الغلو الذي نهى النبي ﷺ عنه كما ننكر الاستعانة والاستغاثة بالأموات، ونصرف ذلك لله وحده.

يقول الشيخ محمد بن نصيف عن الشيخ التلمساني: فاستمر النقاش بيني وبينه في توحيد العبادة ثلاثة أيام حتى

شرح الله صدري للعقيدة السلفية، وأما توحيد الأسماء والصفات الذي قرأته في الجامع الأزهر فهو عقيدة الأشاعرة وكتب الكلام مثل السنوسية وأم البراهين وشرح الجوهرة وغيرها، فلهذا دام النقاش فيه بيني وبين الشيخ ابن عيسى خمسة عشر يوماً، بعدها اعتنقت مذهب السلف، فعلمت أن مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم بفضل الله تعالى، ثم بحكمة وعلم الشيخ أحمد بن عيسى.

ثم إن الشيخ التلمساني أخذ يطبع كتب السلف.. وصار من دعاة عقيدة السلف. قال الشيخ محمد نصيف: فهداني الله إلى عقيدة السلف بواسطة الشيخ عبدالقادر التلمساني، فالحمد لله علي توفيقه[١].

٨ ـ تميّزت تلك الردود بعمق وعي أصحابها، وسعة اطلاعهم، وفقه واقعهم، ومعرفة مشكلات عصرهم، ولقد حرص علماء نجد على نشر ردودهم في المجلات ذات الانتشار الواسع، مع صعوبة وتعذر الاتصالات آنذاك، فالشيخ ابن سحمان يكتب رداً على جريدة القبلة

---

(١) علماء نجد ١/١٥٦ ـ ١٥٨ = باختصار.

لسان الشريف الحسين بن علي بمكة، ويرسل هذا الرد إلى مجلة المنار، ويكتب الشيخ العلامة السعدي رسالة إلى مجلة المنار، فيثني ثناء حسناً على المجلة وصاحبها، ويشير إلى جهود تلك المجلة في نصرة الإسلام، ثم يبدي انتقاده على المجلة بضعف اهتمامها في الرد على الملاحدة والزنادقة، وأصحاب المسلك العقلاني، ويذكر السعدي ـ في رسالته ـ طنطاوي جوهري وما في تفسيره «الجواهر» من المزالق، ويربط هذا الاتجاه المنحرف بالاتجاه الفلسفي اليوناني القديم(١).

كما انتقد الشيخ محمد بن مانع ـ في رسالة خطية ـ محمد رشيد رضا في دعوته للتقريب بين أهل السنة والشيعة، وانتقد ـ عموماً ـ المدرسة الإصلاحية، كما بعث الشيخ عبدالله بن يابس انتقاداً لكتاب الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا، وقد نشر في مجلة المنار، ثم أعقبه محمد رشيد رضا بالجواب(٢).

---

(١) انظر مجلة المنار، مجلد ٢٩، ج ٢، ص ٤٦ ـ ٤٨.
(٢) انظر مجلة المنار، مجلد ٣٤، ج٢، ص ١٤٠ ـ ١٤٦، ج٣، ص =

٩ ـ قوة الحجة ووضوح البرهان:

لاشك أن اتباع الحق بدليله يورث يقيناً ورسوخاً، ومن ثم يتميز أهل الحق بقوة حجتهم، وثبات منهجهم، واطراد مسلكهم بخلاف أهل الباطل، فهم في ريبهم يترددون، ويغلب عليهم التناقض والتذبذب.

ونلحظ ـ من خلال ردود علماء نجد ـ قوة الحجة، والثقة المطلقة بالمنهج الذي سلكوه ـ مسلك أهل السنة والجماعة ـ ولاريب أن هذه الحجج القوية نابعة من علم راسخ ويقين ثابت.

وقد كان الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ يقول: «أنا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية، والمالكي والشافعي والحنبلي كلاً أخاصمهم بكتب المتأخرين من علماء مذهبه الذين يعتمد عليهم»(١).

ومن ذلك أن مندوباً إنجليزياً قدم البحرين ـ وكان قسيساً نصرانياً ـ ومعه كتاب يحوي شبهات في إثبات صحة

= ٢١٦ ـ ٢٢٦.

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ٥/ ٣٨.

النصرانية وتوهين دين الإسلام، فعرضه على حاكم البحرين، وطلب منه عرضه على علماء البحرين ليجيبوا عليه أو يقرّوا بصحة ما فيه إن عجزوا فعرضه عليهم فقالوا: لا نستطيع الردّ عليه.. فقال له أحد خواصه: إنه يوجد في البحرين شاب من طلبة العلم بنجد، فأرى أن تعرضه عليه عسى أن يكون عنده جواب، فأعطى الكتاب لهذا الطالب، وهو الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن مَعمر (ت ١٢٤٤هـ)، فقال: سأعطيكم الجواب عليه بعد شهر إن شاء الله تعالى، فلم يمض شهر حتى دفع إليهم الجواب السديد، واسمه «منحة القريب المجيب في الردّ على عبّاد الصليب»، فدعى القسيس الإنجليزي، فلما قرأ الردّ دهش من قوة الجواب وسداد الرأي»[١].

هذه تسع وقفات تحتاج إلى مزيد بسط وبيان، لكن حسبنا من هذه الوقفات العابرة أن تكون حافزاً للاطلاع على تراث أولئك العلماء، والتأسي بهم في جهودهم العلمية والعملية وبالله التوفيق.

---

(١) انظر علماء نجد ٢/ ٤٤٦.

النفاق والمنافقون أخطار وتنبيهات

«إن بلية الإسلام بالمنافقين شديدة جداً؛ لأنهم منسوبون إليه، وهم أعداؤه في الحقيقة يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وصلاح، وهو غاية الجهل والإفساد.

فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟ وكم من حصنٍ له قد قلعوا أساسه وخربوه؟ وكم من عَلَم له قد طمسوه؟ وكم لواء له مرفوع قد وضعوه، وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها. فلايزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية. ولايزال يطرقه من شبههم سريّة بعد سرية، يزعمون أنهم بذلك مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون.

هذا بعض ما سطّره ابن القيم ـ رحمه الله ـ في التحذير من النفاق والمنافقين[١]، والذي هو موضوع هذه المقالة،

(١) انظر مدارج السالكين ١/ ٣٤٧.

وسيكون الحديث عن خطر النفاق والمنافقين من خلال ما يلي:

١ ـ أن المنافقين أعظم خطراً وضرراً من الكفار المجاهدين، كما أن المنافقين أغلظ كفراً وأشد عذاباً.

قال ابن القيم ـ عنهم: «طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله، وهؤلاء المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ فالكفار المجاهرون بكفرهم أخف، وهم فوقهم في دركات النار؛ لأن الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق، وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهدين، ولهذا قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر، والمراد إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف.. لا على معنى أنه لا عدو لكم سواهم، بل على معنى أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدواً من الكفار المجاهدين، فإن الحرب مع أولئك ساعة أو أياماً، ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر، وهؤلاء معهم في

الديار والمنازل، صباحاً ومساء، يدلون العدو على عوراتهم، ويتربصون بهم الدوائر، ولا يمكنهم مناجزتهم. . وإنما كانت هذه الطبقة في الدرك الأسفل من النار لغلظ كفرهم، فإنهم خالطوا المسلمين وعاشروهم، ووصل إليهم من معرفة الإيمان ما لم يصل إلى المنابذين بالعداوة، فإذا كفروا مع هذه المعرفة والعلم كانوا أغلظ كفراً وأخبث قلوباً، وأشد عداوة لله ولرسوله وللمؤمنين من البعداء عنهم، قال تعالى عن المنافقين: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾[(١)].

٢ ـ حذّر القرآن الكريم من النفاق وصفات المنافقين في آيات كثيرة، فكان الحديث عن النفاق والمنافقين في القرآن في سبع عشرة سورة مدنية من ثلاثين سورة، واستغرق ذلك قرابة ثلاثمائة وأربعين آية، حتى قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم»[(٢)].

---

(١) طريق الهجرتين ص ٤٠٢ ـ ٤٠٤، باختصار يسير.
(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٤٧.

٣ ـ أن النبي ﷺ خاف على أمته من النفاق والمنافقين، وحذّر وأنذر من سلوك المنافقين وشعب النفاق في أحاديث كثيرة.

فعن عمران بن حصين رضي الله عنهما مرفوعاً: «**إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان**»(١).

قال المناوي في التيسير: «كل منافق عليم اللسان: أي عالم للعلم منطلق اللسان به، لكنه جاهل القلب والعمل، فاسد العقيدة، مغر للناس بشقاشقه وتفحصه وتقعره في الكلام»(٢).

وقال المناوي ـ أيضاً: «أي كثير علم اللسان، جاهل القلب والعمل، اتخذ العلم حرفة يتأكل بها، وأبهة يتعزز بها، يدعو الناس إلى الله، ويفرّ هو منه»(٣).

---

(١) أخرجه الفريابي في صفة النفاق (٢٣)، والطبراني في الكبير ١٨/ ٢٣٧، والبيهقي في الشعب ٢/ ١٦١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨٧). «رجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في الجامع الصغير.

(٢) التيسير: ١/ ٥٢.

(٣) التيسير: ١/ ٣٠٩.

٤ ـ كان سلفنا الصالح رحمهم الله مع عمق إيمانهم وكمال علمهم يخافون النفاق أيما خوف، فقد أخرج البخاري تعليقاً أن ابن أبي مليكة ـ رحمه الله ـ قال: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كله يخاف النفاق على نفسه.

قال الحافظ ابن حجر: «وقد أدرك ابن أبي مليكة عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الأربعة، وأباهريرة، وسمع منهم، وأدرك بالسن جماعة أجلّ من هؤلاء كعليّ وسعد بن أبي وقاص، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك، فكأنه إجماع، وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم»(١).

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا فرغ من التشهد ـ في الصلاة ـ يتعوذ بالله من النفاق، ويكثر التعوذ منه، فقال له أحدهم: ومالك يا أبا الدرداء أنت والنفاق؟ فقال دعنا عنك، فوالله إن الرجل ليقلب عن دينه في الساعة الواحدة

---

(١) الفتح: (١/ ١١١).

فيخُلع منه(١).

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: «ما خافه (النفاق) إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق»(٢).

وسئل الإمام أحمد: ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق؟ قال: ومن يأمن على نفسه النفاق(٣).

يقول ابن القيم: «وبحسب إيمان العبد ومعرفته يكون خوفه أن يكون من أهل هذه الطبقة، ولهذا اشتد خوف سادة الأمة وسابقوها على أنفسهم أن يكونوا منهم، فكان عمر يقول لحذيفة: ناشدتك الله، هل سماني رسول الله مع القوم؟ فيقول: «لا، ولا أزكي بعدك أحداً»(٤)، يعني لا

---

(١) أخرجه الفريابي في صفة المنافق ص ٦٩، وقال الذهبي في السير (٦/ ٣٨٢): إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً وأخرجه الخلال في السنة ٥/ ٦٨.

(٣) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢/ ٤٩٣.

(٤) كان عمر الفاروق رضي الله عنه يخاف من نفاق العمل لا نفاق الكفر، كما أن عمر يخاف هذا النفاق الأصغر على نفسه في الحال وليس عند الموت فحسب. انظر تفصيل ذلك في جامع العلوم (٢/ ٤٩٢) وفتح الباري (١/ ٩٠).

أفتح عليّ هذا الباب في تزكية الناس، وليس معناه أنه لم يبرأ من النفاق غيرك»(١).

فتأمل رحمك الله ما عليه أولئك الأسلاف الأبرار من خوف شديد من النفاق ودواعيه، ثم انظر إلى حال الأكثرين منا في هذا الزمان، فمع ضعف الإيمان وغلبة الجهل تجد الأمن من النفاق والغفلة عنه فالله المستعان.

٥ ـ ومما يوجب مزيد الخوف من النفاق والحذر من المنافقين أنهم كثيرون، منتشرون في بقاع الأرض.

كما قال الحسن البصري رحمه الله: «لولا المنافقون لاستوحشتم في الطرقات»(٢).

وقال ابن القيم: «كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم، لكثرتهم على ظهر الأرض، وفي أجواف القبور، فلا خلت بقاع الأرض منهم لئلا يستوحش المؤمنون في الطرقات، وتتعطل بهم أسبابُ المعايش، وتخطفهم الوحوش والسباع في الفلوات، سمع حذيفة رضي الله عنه رجلاً

---

(١) طريق الهجرين ص ٤٠٩.
(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٦٩٨).

يقول: اللهم أهلك المنافقين، فقال: «يا ابن أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في طرقاتكم من قلة السالك»[١] ولا يعني ذلك تعميم الحكم بالنفاق على الأكثرية والأغلبية، فإن النفاق شعب وأنواع، كما أن الكفر شعب وأنواع، والمعاصي بريد الكفر، فكذا من كان متهماً بنفاق فهم على أنواع متعددة، كما وضّحه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعاً واحداً، بل فيهم المنافق المحض، وفيهم من فيه إيمان ونفاق، وفيهم من إيمانه غالب وفيه شعبة من النافق، ولما قوي الإيمان وظهر الإيمان وقوته عام تبوك، صاروا يعاتبون من النفاق على ما لم يكن يعاتبون عليه قبل ذلك»[٢].

٦ ـ أن المنافقين أصحاب تذبذب وتقلب، وأرباب خداع وتلبيس، فيتكلمون بمعسول الكلام، وفصيح الخطاب، ويظهرون للناس في هيئة حسنة، ومظهر جذاب، فربما انخدع بهم الفئام من المسلمين، فمالوا إليهم وأصغوا إلى

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٥٨.
(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٥٢٣.

قولهم وتدليسهم. قال تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾.

إن هذا التلون والتذبذب يجعل خطرهم كبيراً، وشرهم مستطيراً، حيث يخفون كفرهم وضلالهم، ويتظاهرون بالإيمان والاهتداء.

ولذا خفي على كثير من المسلمين حال بعض الزنادقة (المنافقين) في القديم والحديث، وكما قال الذهبي ـ رحمه الله ـ في شأن الحلاج:

«فهو صوفي الزي والظاهر، متستر بالنسب إلى العارفين، وفي الباطن فهو من صوفية الفلاسفة أعداء الرسل، كما كان جماعة في أيام النبي منتسبون إلى صحبته وإلى ملته، وهم في الباطن من مردة المنافقين قد لا يعرفهم النبي ولا يعلم بهم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ فإذا جاز على سيد البشر أن لا يعلم ببعض المنافقين وهم معه في المدينة سنوات، فبالأولى أن يخفى حال جماعة من المنافقين الفارغين عن دين الإسلام بعده عليه السلام على العلماء من

أمته»[١].

٧ ـ ومما يؤكد خطر النفاق أن الكثير من شعب النفاق الأصغر (الذي لا يخرج عن الملة) قد عمت وطمت في مجتمعات المسلمين؛ الكذب، وخلف الوعد والرياء والخيانة والجبن وترك الجهاد في سبيل الله تعالى وعدم تحديث النفس بذلك.

ومع أن هذه الخصال من النفاق الأصغر، لكنها قد تؤول إلى النفاق الأكبر المخرج من الملة، وفي هذا يقول ابن رجب:

«والنفاق الأصغر وسيلة وذريعة إلى النفاق الأكبر، كما أن المعاصي بريد الكفر، فكما يُخشى على من أصرّ على المعصية أن يُسلب الإيمان عند الموت، كذلك يخشى على من أصر على خصال النفاق أن يسلب الإيمان، فيصير منافقاً خالصاً»[٢].

بل استفحل الأمر، وعظم النفاق حتى صرنا نشاهد

---

(١) السير ١٤/ ٣٤٣.
(٢) جامع العلوم ٢/ ٤٩٢.

صوراً وأنواعاً من النفاق الأكبر في بلاد المسلمين ومن ذلك الاستهزاء بدين الله تعالى، والفرح والسرور بانخفاض دين الإسلام وهزيمة المسلمين، وكذا العكس، والإعراض التام عن حكم الله تعالى، ومظاهرة الكفار ضد المسلمين.

إن على الدعاة إلى الله أن يحذروا مكايد المنافقين ومسالكهم، فلا ينخدعوا بهم، أو يتساهلوا معهم، وأن يُعنى الدعاة بمعرفة النفاق وخطره وشعبه؛ مخافة أن يصيبهم، وأن يتعرفوا على مكايد المنافقين ومخططاتهم في الماضي والحاضر؛ لكي لا يقعوا في شراكهم، وأن يجتهد المصلحون في تحقيق تزكية النفوس وتربية الأجيال على الإيمان الصحيح، والقيام بالعبادة ظاهراً وباطناً، فالمنافقون أرباب ظواهر لا بواطن، وسيدرك الصادقون في إيمانهم أولئك المنافقين من خلال لحن القول، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾.

قال شيخ الإسلام: «فمعرفة المنافقين ثابتة مقسم

عليهم، لكن هذا يكون إذا تكلموا، وأما معرفتهم بالسيما فهو موقوف على مشيئة الله تعالى»[١].

وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: ما أسرّ أحد سريرة إلا أظهرها الله على وجهه وفلتات لسانه.

ـ وأشير إلى مسألة مهمة وهي أن النفاق موجود وواقع خلافاً لمن أنكره من طوائف المرجئة، فقد زعم صنف من المرجئة أنه ليس في هذه الأمة نفاق[٢].

«قيل للحسن البصري إن قوماً يزعمون أن لا نفاق، ولا يخافون النفاق، فقال الحسن: والله لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق أحبّ إلي من طلاع (ملأ) الأرض ذهباً[٣]».

وقال سفيان الثوري: «خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث ـ وذكر منها ـ نحن نقول: النفاق، وهم لا يقولون لا

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧/ ١١٨.

(٢) انظر التنبيه والرد للملطي ص ١٦٤.

(٣) أخرجه الخلال في السنة (٥/ ٧٢)، والفريابي في صفة النفاق (٧٢، ٨٥).

نفاق[١]».

وحمل أولئك المرجئة حديث عبدالله بن عمرو «أربع منكن فيه كان منافقاً..» على المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ حيث تلبسوا بهذه الخصال الأربع[٢].

وليس لهم أن يحتجوا بما أخرجه البخاري عن حذيفة رضي الله عنه حيث قال: «إنما كان النفاق على عهد النبي ﷺ، فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان».

حيث قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والذي يظهر أن حذيفة لم يرد نفي الوقوع، وإنما أراد نفي اتفاق الحكم؛ لأن النفاق إظهار الإيمان وإخفاء الكفر، ووجود ذلك ممكن في كل عصر، وإنما اختلف الحكم لأن النبي ﷺ كان يتألفهم ويقبل ماأظهروه من الإسلام، ولو ظهر منهم احتمال خلافه، وأما بعده، فمن أظهر شيئاً فإنه يؤاخذ به ولا يترك لمصلحة التألف لعدم الاحتياج إلى ذلك»[٣].

---

(١) أخرجه الفريابي في صفة النفاق (٩٣).
(٢) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ٤٨٠).
(٣) فتح الباري (١٣/ ٧٤).

وبالإضافة إلى ذلك، فقد نصّ حذيفة على وقوع النفاق بعد عهد النبوة في عدة أقوال، ومن ذلك قوله رضي الله عنه: «**المنافقون الذين فيكم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد الرسول ﷺ، فقيل له.. وكيف ذاك؟ فقال: إن أولئك كانوا يسرون نفاقهم، وإن هؤلاء يعلنون**[١]».

«وجاء رجل من المرجئة لأيوب السختياني، فقال: إنما هو الكفر والإيمان، فقال أيوب: أرأيت قوله ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ أمؤمنون هم أم كفار؟ فسكت الرجل، فقال أيوب: اذهب فاقرأ القرآن، فكل آية في القرآن فيها ذكر النفاق فإني أخافها على نفسي[٢]».

ولعل هذا الأثر يكشف سبب إنكار أولئك المرجئة للنفاق، فهذا المرجيء يقول: إنما هو الكفر والإيمان، ومقصوده أن الإيمان شيء واحد إذا ثبت بعضه ثبت جميعه، وإذا زال بعضه زال جميعه، فلا يجتمع عندهم في

---

(١) أخرجه الفريابي في صفة المنافق (٥٣).
(٢) أخرجه الفريابي في صفة النفاق (٩٢).

العبد إيمان وكفر أو نفاق أصغر، ولذا احتج عليه أيوب بالآية الكريمة ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ فهذا صنف جمعوا بين إيمان ومعاصي، وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فأمرهم إلى الله تعالى، فليسوا من أهل الإيمان المطلق التام كما أنهم ليسوا كفاراً بإطلاق.

وقد غلط المرجئة في ذلك، فليس الإيمان شيئاً أو شعبة واحدة، بل إن الإيمان شعب متعددة ـ كما في حديث شعب الإيمان ـ وكذلك الكفر والنفاق شعب متعددة. ويدل على ذلك ما رواه أبوهريرة مرفوعاً: «**ثلاث من كن فيه فهو منافق: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان. فقال رجل: يا رسول الله ذهبت اثنتان وبقيت واحدة؟ قال فإن عليه شعبة من نفاق ما بقي منهن شيء**»(١).

قال الذهبي: «وفيه دليل على أن النفاق يتبعض

(١) أخرجه الفريابي في صفة النفاق (٤)، وقال الذهبي في السير (١١/ ٣٦٢): «هذا حديث حسن الإسناد».

ويتشعب، كما أن الإيمان ذو شعب ويزيد وينقص..[١]».

وقال شيخ الإسلام: «وكل واحد من الإيمان والكفر والنفاق له دعائم وشعب، كما دلت عليه دلائل الكتاب والسنة[٢]».

وأمر آخر وهو أن مقالة الكرامية (وهم من طوائف المرجئة) بأن الإيمان قول باللسان قد تكون سبباً في إنكارهم النفاق ونفيه، فالمنافق ـ عندهم ـ مؤمن بالنسبة إلى أحكام الدنيا، مع أن الله تعالى قد نفى الإيمان عن المنافق بقوله سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

كما أن غلاة المرجئة (الجهمية ومن تبعهم) ينكرون الأعمال القلبية فيخرجونها عن مسمى الإيمان، فالإيمان ـ عندهم ـ معرفة أو تصديق بلا عمل قلبي، وهذا لا يعدّ إيماناً صحيحاً ولا مقبولاً، فالتصديق بلا نية أو عمل قلبي

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٦٣).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٣٣).

نفاق[١]، فجعلوا الإيمان مجرد هذا التصديق، ومن ثم سينكرون النفاق والله أعلم.

■ أما عن الموقف والواجب تجاه المنافقين، فيتمثل في جملة أمور منها:

١ ـ النهي عن موالاتهم والركون إليهم، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾.

٢ ـ زجرهم ووعظهم: لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾.

٣ ـ عدم المجادلة أو الدفاع عنهم حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّآ

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٧١).

أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾.

٤ ـ جهادهم والغلظة عليهم: لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

٥ ـ تحقيرهم وعدم تسويدهم: فعن بريدة بن الحصيب مرفوعاً «**لا تقولوا للمنافق سيّد فإنه إن يك سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل**»(١).

وكان حذيفة يؤيس (يحتقر) المنافقين(٢).

٦ ـ عدم الصلاة عليهم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ﴾.

■ ونذكر في نهاية هذه المقالة جملة من التنبيهات:

أولاً: علينا أن نفرق بين المداهنة ـ وهي من خصال

---

(١) أخرجه أبوداود والنسائي.

(٢) أخرجه الخلال في السنة ٥/ ٧٠.

المنافقين وشعب النفاق ـ وبين المداراة، فالمداهنة مجاراة أهل الكفر والفسق في باطلهم، وأما المداراة فهي مداراة أهل الكفر والفسق اتقاء شرهم، أو تأليفاً لقلوبهم.

فالمداهن صاحب تلون وتذبذب، ويلقى كل طائفة بما تهوى، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**تجدون شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**»(١).

«قال القرطبي: إنماكان ذو الوجهين شر الناس؛ لأن حاله حال المنافق، إذ هو متعلق بالباطل وبالكذب، مدخل للفساد بين الناس، وقال النووي: هو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها، فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها، وصنيعه نفاق ومحض كذب»(٢).

فالمداهنة محرمة ومذمومة، بخلاف المداراة فقد سلكها رسول الله ﷺ، كما في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: عندما استأذن رجل في الدخول على النبي

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) فتح الباري ١٠/ ٤٧٥.

ﷺ، فقال: «**بئس أخو العشيرة**» فلما جلس تَطلّق له النبي في وجهه، وانبسط له، فسألته عائشة فقال: «**يا عائشة متى عهدتيني فاحشاً؟ إن شر الناس عند الله من تركه الناس مخافة فحشه**»(١).

وقد بيّن أهل العلم الفرق بين المداراة والمداهنة، ومراد النبي ﷺ في مسلكه تجاه ذلك الرجل...

«قال القاضي عياض: الفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدين، أو الدنيا، أو هما معاً، وهي مباحة وربما استحبت، والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا، والنبي إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته، ومع ذلك فلم يمدحه بقول، فلم يناقض قوله فيه فعله، فإن قوله فيه قول حق، وفعله معه حسن عشرة»(٢).

«وقال ابن بطال: حيث ذمه كان لقصد التعريف بحاله، وحيث تلقاه بالبشر كان لتأليفه، أو لاتقاء شره، فما قصد بالحالتين إلا نفع المسلمين، ويؤيده أنه لم يصفه في حال

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) فتح الباري ١٠/ ٤٥٤.

لقائه بأنه فاضل ولا صالح»[١].

إذا تقرر ذلك فليتق الله قوم يداهنون أنظمة طاغوتية، وحكاماً مضلين، ثم يسمون صنيعهم مداراة وحكمة وسياسة، فإن العبرة بالحقائق، والله عز وجل مطلع على السرائر وما تخفي الصدور.

ثانياً: ينبغي أن نفرّق بين النفاق وبين ما يعرض للقلب من الغفلة والتغير بعد الخشوع والإخبات.

يقول ابن رجب: «لما تقرر عند الصحابة رضي الله عنهم أن النفاق هو اختلاف السر والعلانية، خشي بعضهم على نفسه أن يكون إذا تغير عليه حضور قلبه ورقته وخشوعه عند سماع الذكر برجوعه إلى الدنيا والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال أن يكون ذلك منه نفاقاً، كما في صحيح مسلم عن حنظلة الأُسَيِّدي أنه مرّ بأبي بكرالصديق رضي الله عنه، فقال كيف أنت ياحنظلة، قلت نافق حنظلة، قال: سبحانه الله ما تقول؟ قال: نكون عند رسول

---

(١) فتح الباري ١٣/ ١٧١.

الله يذكّرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله عافسنا (اشتغلنا) الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً، فقال أبوبكر فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقا إلى رسول الله، وأخبره حنظلة بحاله، فقال عليه الصلاة والسلام: والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن ياحنظلة ساعة وساعة»(١).

وقال النووي: «وأصل النفاق إظهار مايكتم خلافه من الشر، فخاف أن يكون ذلك منافقاً، فأعلمهم النبي أنه ليس بنفاق وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك»(٢).

والمقصود أن أمر النفاق شيء، وأما الغفلة والذهول فهذا شيء آخر، حيث يَرد هذا التغير على القلب، لكنه أمر عارض يصيب القلب ساعة، فيستغفر العبد ربه وينيب.

ثالثاً: أن نفرّق بين قبول الحق من كل شخص سواءً كان مؤمناً أو كافراً أو منافقاً، وبين موالاة ذلك الشخص

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/ ٤٩٤.
(٢) صحيح مسلم بالنووي (١٧/ ٦٧).

ومودته، فالمنافق إذا قال صواباً، فإنه يقبل هذا الصواب منه، ومع ذلك فله حق العداوة والبغضاء بحسب نفاقه، وفي المقابل فإن العالم الفاضل أو الداعية الصادق وإن وقع في زلة أو عثرة فلا يوافق على زلته وعثرته، لكن يبقى له حق الولاء والنصرة حسب إيمانه وتقواه.

كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: **«واحذروا زيغة الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق، فاقبلوا الحق فإن على الحق نوراً»**[١].

فنسأل الله العظيم أن يعيذنا من النفاق، وأن يختم لنا بالإيمان. وبالله التوفيق.

---

(١) أخرجه أبونعيم في الحلية ١/ ٢٣٢، ٢٣٣.

الردة مفهومها وأسبابها

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فمن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن الله تعالى أتم هذا الدين وجعل شريعة الإسلام أكمل الشرائع وأحسنها، وقد جاء هذا الدين شاملاً لجميع جوانب الحياة البشرية، ولذا أوجب الله تعالى على عباده الالتزام بجميع أحكام الإسلام فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾، كما جاء هذا الدين موافقاً للفطرة السوية الصحيحة، فقال تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾.

فإذا كان الشخص مسلماً لله تعالى، والتزم بدين الله تعالى، فأبى إلا أن ينسلخ من الهدى، ويتلبس بالضلال، فيمرق من الحق والنور إلى الباطل والظلمات، فهذا مرتد عن دين الإسلام، ناقض لعقد الإيمان، مصادم لما عليه

هذا الكون الفسيح ـ من سماء وأرض ونبات وحيوان ـ من الاستسلام لله تعالى والخضوع له، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

وإذا كانت قوانين البشر ـ مع ما فيها من القصور والتناقض والاضطراب ـ توجبُ مخالفتها ـ عند أصحابها ـ الجزاءاتُ والعقوباتُ، فكيف بمناقضة شرع الله تعالى والانسلاخ من حكمه، وهو أفضل الأحكام على الإطلاق؟

لقد شرع الله تعالى إقامة الحدود، ومنها: حد الردة تحقيقاً لأهم مقاصد الشريعة (وهو حفظ الدين)، وهو سبحانه الحكيم في شرعه، الرحيم بعباده، العليم بما يصلح أحوال خلقه في معاشهم ومعادهم.

وفي الآونة الأخيرة تطاول شرذمة من السفهاء على هذه الشريعة، فوصفوا الأحكام الشرعية المترتبة على المرتد بأنها استبداد وقسوة ومناقضة للحرية الفكرية.. فقام من يرد ذلك الإفك بضعف، وتأول متكلف، وانهزامية ظاهرة

«فلا للإسلام نصروا ولا (للسفهاء) كسروا».

وسنعرض ـ في هذه المقالة ـ لمعنى الردة وشيء من أحكامها وتطبيقاتها، وأسباب الوقوع فيها.

إذا رجعنا إلى كتب الفقه، فإننا نجد أن الفقهاء ـ في كل مذهب من المذاهب الأربعة. يعقدون باباً مستقلاً للمرتد وأحكامه، فنورد أمثلة لتعريفاتهم للردة ـ أعاذنا الله منها.

ففي «بدائع الصنائع» للكاساني الحنفي (ت ٥٨٧هـ): «أما ركن الردة فهو إجراء كلمة الكفر على اللسان بعد وجود الإيمان، إذ الردة عبارة عن الرجوع عن الإيمان»(١).

ويقول «الصاوي» المالكي (ت ١٢٤١ هـ) في «الشرح الصغير»: «الردة كفر مسلم بصريح من القول، أو قول يقتضي الكفر، أو فعل يتضمن الكفر»(٢).

وجاء في «مغني المحتاج» للشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ): «الردة هي قطع الإسلام بنية، أو فعل سواءً قاله

---

(١) ٧/ ١٣٤.
(٢) ٦/ ١٤٤.

استهزاء، أو عناداً، أو اعتقاداً»[١].

ويقول البهوتي الحنبلي (ت ١٠٥١هـ) في «كشاف القناع»: «المرتد شرعاً الذي يكفر بعد إسلامه نطقاً أو اعتقاداً، أو شكاً، أو فعلاً»[٢].

وبالنظر في هذه التعريفات والتوفيق بينها يمكن أن يقال: الردة رجوع عن الإيمان، فهي رجوع باعتبار المعنى اللغوي فالمرتد هو الراجع، ومن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾.

والردة رجوع عن الإيمان باعتبار المعنى الشرعي، فالشرع يخصص اللغة ويقيدها، كما أن الردة هي قطع الإسلام. لأن الإسلام عقد وميثاق، وحبل الله المتين، فإذا ارتد الشخص فقد نقض العقد وقطع هذا الحبل.

والردة ـ كما ذكر البهوتي ـ قد تكون نطقاً، أو اعتقاداً، أو شكاً، أو فعلاً، وذلك باعتبار أنواعها وأحوالها، لكن يسوغ أن ندرج الشك ضمن الاعتقاد باعتبار أن الشك

---

(١) ٤/ ١٣٣.
(٢) ٦/ ١٣٦.

يكون في علم القلب المتعلق بالاعتقاد.

ويمكن أن نخلص إلى أن الردة هي الرجوع عن الإسلام إما باعتقاد أو قول أو فعل. ولا يخفى أن هذا التعريف يقابل الإيمان بأنه اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح، وإذا قلنا إن الإيمان قول وعمل ـ كما في عبارات متقدمي أئمة السلف ـ أي قول القلب وعمله، وقول اللسان وعمل الجوارح، فإن الردة ـ أيضاً ـ قول وعمل، فقد تكون الردة قولاً قلبياً كتكذيب الله تعالى في خبره، أو اعتقاد أن خالقاً مع الله عز وجل، وقد تكون عملاً قلبياً كبغض الله تعالى أو رسوله ﷺ، أو الإباء والاستكبار عن اتباع الرسول، وقد تكون الردة قولاً باللسان كسبّ الله تعالى أو رسوله ﷺ، أو الاستهزاء بدين الله تعالى، وقد تقع الردة بعمل ظاهر من أعمال الجوارح كالسجود للصنم أو إهانة المصحف.

فإذا تقرر مفهوم الردة، فإن من تلبّس بشيء من تلك «النواقض» فإنه مرتد عن دين الإسلام، فيقتل بسيف الشرع، فالمبيح لدمه هو الكفر بعد الإيمان، وكما قال

شيخ الإسلام ابن تيمية ـ في هذا المقام ـ: «فإنه لو لم يقتل ذلك (المرتد) لكان الداخل في الدين يخرج منه، فقتله حفظ لأهل الدين وللدين، فإن ذلك يمنع من النقص[١] ويمنعهم من الخروج عنه»[٢].

وكما يقتل المرتد، فإنه لا يغسّل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يرث ولا يورث، بل يكون ماله فيئاً لبيت مال المسلمين كما هو مبسوط في موضعه[٣].

ومما يدل على مشروعية قتل المرتد ما أخرجه البخاري ـ رحمه الله ـ أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أتي بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال: لو كنت أنا لم أحرِّقهم لنهي رسول الله ﷺ: «**لا تعذبوا بعذاب الله**» ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: «**من بدّل دينه فاقتلوه**».

---

(١) هكذا كتبت، ويحتمل: النقض.
(٢) الفتاوى ٢٠/ ١٠٢.
(٣) انظر فتح الباري (١٣/ ٢٧٢).

والمراد من بدّل دين الإسلام بدين غيره، لأن الدين في الحقيقة هو الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(١).

وقد التزم الصحابة رضي الله عنهم بهذا الحكم، فعندما زار معاذ بن جبل أخاه أبا موسى الأشعري ـ رضي الله عنهما ـ وكانا أميرين في اليمن، فإذا رجل موثق، فقال معاذ: ما هذا؟ قال أبوموسى: كان يهودياً فأسلم ثم تهوّد، ثم قال: اجلس. فقال معاذ: لا أجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله (ثلاث مرات)، فأمر به فقتل. أخرجه البخاري.

وقد قام خلفاء وملوك الإسلام ـ وفي عصور مختلفة ـ بإقامة حكم الله تعالى في المرتدين تأسياً برسول الله ﷺ، فلا يخفى موقف الصديق رضي الله عنه تجاه المرتدين وقتاله لهم، وسار على ذلك بقية الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان.

---

(١) تحدث الفقهاء ـ رحمهم الله ـ عن هذه المسائل تفصيلاً، وأُلّفت رسائل علمية مطبوعة في أحكام المرتد، منها: أحكام الردة والمرتدين لجبر الفضيلات، وأحكام المرتد لنعمان السامرائي.

واشتهر المهدي الخليفة العباسي بمتابعة الزنادقة المرتدين، حيث عيّن رجلاً يتولى أمور الزنادقة.

يقول ابن كثير في حوادث سنة ١٦٧هـ: «وفيها تتبع المهدي جماعة من الزنادقة في سائر الآفاق فاستحضرهم وقتلهم صبراً بين يديه»(١).

ويعدّ الحلاج من أشهر الزنادقة الذين تم قتلهم بسيف الشرع دون استتابة.

يقول القاضي عياض: «وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول، وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة، ولم يقبلوا توبته»(٢).

وقد بسط الحافظ ابن كثير الحديث عن أحوال الحلاج وصفة مقتله، فكان مماقال: «قُدِّم (الحلاج) فضرب ألف سوط، ثم قطعت يداه ورجلاه، وحُزّ رأسه، وأحرقت جثته، وألقي رمادها في دجلة، ونصب الرأس يومين

---

(١) البداية ١٠/ ١٤٩.
(٢) الشفا ٢/ ١٠٩١.

ببغداد على الجسر، ثم حمل إلى خراسان وطيف في تلك النواحي»[١].

ومن أهم أخبار المرتدين وأكثرها عبرة ما سجله الحافظ ابن كثير في حوادث سنة ٧٢٦هـ حيث «ضربت عنق ناصر بن الشرف أبي الفضل بن الهيثي على كفره واستهانته بآيات الله وصحبته الزنادقة.

قال البرازلي: وربما زاد هذا المذكور المضروب العنق عليهم ـ أي الزنادقة ـ بالكفر والتلاعب بدين الإسلام والاستهانة بالنبوة والقرآن.

وحضر قتله العلماء والأكابر وأعيان الدولة، قال: وكان هذا الرجل قد حفظ التنبيه، وكان يقرأ في الختم بصوت حسن، وعنده نباهة وفهم، ثم إنه انسلخ من ذلك جميعه، وكان قتله عزاً للإسلام، وذلاً للزنادقة وأهل البدع، قلت: (ابن كثير): وقد شهدتُ قتله، وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية حاضراً يومئذ، وقد أتاه وقرّعه على ما كان يصدر منه قبل قتله، ثم ضربت عنقه وأنا شاهد

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ١٤٣.

ذلك»[١].

ومما يجدر ذكره في هذه المقالة أن الردة التي جاهر بها بعض زنادقة هذا العصر ـ كرشدي ونسرين ونصر أبي زيد والبغدادي وأضرابهم ـ أشنع من ردة أسلافهم كالحلاج والهيثي، والله المستعان.

وبالجملة فردة هؤلاء الزنادقة ـ في القديم والحديث ـ ليست مجرد ردة فحسب، بل ضموا إلى هذه الردة المحاربة لله تعالى ورسوله والإفراط في العداوة والمبالغة في الطعن في دين الله تعالى، وصاحب هذه الردة المغلطة لا يسقط عنه القتل ـ وإن تاب ـ بعد القدرة عليه كما حرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله:

«إن الردة على قسمين: ردة مجردة، وردة مغلظة شرع القتل على خصوصها، وكلاهما قد قام الدليل على وجوب قتل صاحبها، والأدلة الدالة على سقوط القتل بالتوبة لا تعمّ القسمين، بل إنما تدل على القسم الأول (الردة

---

(١) البداية والنهاية ١٤/ ١٢٢.

المجردة)، كما يظهر ذلك لمن تأمل الأدلة على قبول توبة المرتد، فيبقى القسم الثاني (الردة المغلظة) وقد قام الدليل على وجوب قتل صاحبه، ولم يأت نص ولا إجماع بسقوط القتل عنه، والقياس متعذر مع وجود الفرق الجلي، فانقطع الإلحاق والذي يحقق هذه الطريقة أنه لم يأت في كتاب ولا سنة ولا إجماع أن كل من ارتد بأي قول أو أي فعل كان فإنه يسقط عنه القتل إذا تاب بعد القدرة عليه، بل الكتاب والسنة والإجماع قد فرّق بين أنواع المرتدين . . »(١).

وأما أسباب الوقوع في الردة فثمت أسباب متعددة لذلك منها:

● الجهل بدين الله تعالى، وضعف التمسك بالمعتقد الصحيح عند الكثير من المسلمين، مما أوقعهم ـ بسبب جهلهم وضعف تمسكهم ـ في جملة من المكفرات، فعلى الدعاة والعلماء أن يجتهدوا في إظهار العلم الشرعي

---

(١) الصارم المسلول ٣/ ٦٩٦.

وتبليغ دين الله تعالى عبر برامج مرتبة، فيرّغب أهل الإسلام بالمعتقد الصحيح علماً وعملاً، ويحذرون من الردة وأنواعها، عن طريق حلق التعليم، والخطب، والمؤلفات والأشرطة ونحوها، فيعني بالتوحيد تقريراً والتزاماً، كما يعني بالتحذير من مظاهر الردة في الزمن المعاصر، ومن ذلك أن تُدرّس رسالة «نواقض الإسلام» للشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ فهي ـ مع كونها في غاية الإيجاز ـ تحوي أهم النواقض وأشملها، وأكثرها وقوعاً وانتشاراً (١).

وأن يبين للناس الأحكام الشرعية المترتبة على المرتد من القتل وعدم الصلاة عليه وحل ماله، وأن تذكر أخبار المرتدين وأحوالهم وما نالوه في الدنيا من العقوبات والمثلات، وما أعدّ لهم من العذاب المقيم في الدار الآخرة.

وأن يراعى ـ أثناء التحذير من الردة وأنواعها ـ

---

(١) شرح هذه الرسالة غير واحد، ومن أفضل الشروح «التبيان شرح نواقض الإسلام» للشيخ سليمان بن ناصر العلوان.

العوارض الأهلية عند الحكم على الأشخاص: كالجهل، والتأويل، والخطأ، والإكراه، ونحوه، فربما وقع البعض في غلو وإفراط بمجرد علمهم بجملة من أنواع الردة، فيحكمون بذلك على أشخاص ـ بأعيانهم ـ دون التفات إلى اجتماع الشروط وانتفاء الموانع.

● ومن أسباب الوقوع في الردة: ظهور الإرجاء في هذه الأوقات.. فالإرجاء في مسألة الإيمان يقرر عبر مؤسسات تعليمية شرعية منتشرة في بلاد المسلمين، حيث تتبنى هذه المؤسسات المذهب الأشعري والماتريدي ـ ذي النزعة الإرجائية الغالية، كما ساعد على ظهور الإرجاء بعض المنهزمين إزاء واقعنا الحاضر المليء بالانحراف بأنواع من التأويلات المتكلفة.

كما أن الغلو في التكفير والنزعة الخارجية ـ في هذا العصر ـ كان سبباً مساعداً في ظهور الإرجاء كنتيجة عكسية، فجاء ذلك الإرجاء كرد فعل لهذا الغلو.

فإذا كان الإيمان ـ عند طوائف من المرجئة ـ هو التصديق فحسب، ففي المقابل سيكون الكفر ـ أو الردة ـ

هو التكذيب فقط، فلا يكون الشخص مرتداً عن دين الله تعالى إلا إذا كان مكذباً جاحداً! فلا يكون الشخص ـ عند هؤلاء المرجئة ـ مرتداً بمجرد استهزاءه بالله تعالى أو رسوله أو دينه، كما لا يكون الشخص ـ عندهم ـ مرتداً بمجرد سجوده للصنم أو إهانة المصحف!!

فالردة عندهم مجرد اعتقاد، فلا تقع الردة بقول أو عمل!

● وسبب ثالث وهو تنحية شرع الله عز وجل في كثير من بلاد المسلمين، فلا يخفى أن وجود الولاية الشرعية سبب في حفظ الدين، فحيث تقام الحدود ـ ومنها حد الردة ـ فلن يتطاول زنديق مارق على دين الله تعالى، لكن «من أمن العقوبة أساء الأدب» والله حسبنا ونعم الوكيل، ورحم الله ابن العربي عندما وصف كفر غلاة الشيعة بأنه «كفر بارد لا تسخنه إلا حرارة السيف، فأما دفء المناظرة فلا يؤثر فيه»[١].

وإليك ـ أخي القارئ ـ واقعة تاريخية توضح المراد

(١) العواصم من القواصم ص ٢٤٧.

كما دوّنها القاضي عياض في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» بقوله:

«وقد أفتىٰ ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عَجَب، وكان خرج يوماً، فأخذه المطر، فقال: بدأ الخرّاز يرش جلوده. وكان بعض الفقهاء بها (أي بقرطبة): أبوزيد، وعبدالأعلى بن وهب، وأبان بن عيسى، وقد توقفوا عن سفك دمه، وأشادوا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب. وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد، فقال ابن حبيب: دمه في عنقي، أيشتم رباً عبدناه، ثم لا ننتصرله، إنا إذاً لعبيد سوء، وما نحن له بعابدين، وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها عبدالرحمن بن الحكم الأموي (ت ٢٨٢ هـ).

وكانت عَجَب عمة هذا المطلوب من حظاياه (أي من أحب الزوجات لعبدالرحمن بن الحكم)، وأُعْلِم باختلاف الفقهاء، فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن حبيب وصاحبه، وأمر بقتله، فقتل وصُلب بحضرة الفقِيهَيْنِ (ابن حبيب وأصبغ)، وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه

القصة، ووبّخ بقية الفقهاء وسبّهم»[١].

ولنا وقفة يسيرة مع هذه القصة فإن ابن أخي عجب تلفظ بعبارة تقتضي استخفافاً بالربّ جلّ جلاله، وقد لا تكون صريحة في ذلك، والرجل لم يجاهر بهذه العبارة عبر إعلام مقروء أو منطوق أو نظم منثور، ومع ذلك فهذه العبارة في غاية النشاز والاشمئزاز في المجتمع الإسلامي ـ آنذاك ـ، فلم يقبلها بالكلية، بل ونفر منها تماماً، حتى بلغت أهل العلم ـ في قرطبة ـ فاجتمعوا لها وحكموا على صاحبها..

وأخيراً تتجلى روعة هذا الموقف عندما يمضي عبدالرحمن بن الحكم الأموي حكمَ القتل على ابن أخي زوجه عجب ـ وهي أحب زوجاته إليه ـ، ولا يكتفي بذلك بل ويعزل القاضي متهماً له بالمداهنة، ويعاتب بقية الفقهاء.

فانظر ـ رعاك الله ـ إلى أثر الولاية الشرعية في تحقيق حفظ الدين وإقامة حكم الله تعالى على من تطاول على دين الله تعالى.

---

(١) الشفا ٢/ ١٠٩٣، ١٠٩٤.

● وأما السبب الرابع في ظهور الردة، فإن الفوضى الفكرية التي يعيشها العالم المعاصر، والاضطراب الهائل في المفاهيم، والتناقض المكشوف في المعتقدات والمبادىء، كان سبباً في الإخلال بالثوابت والتمرد على الدين والأخلاق.

لقد وجد الانسلاخ من الدين في العالم الغربي، والخروج عما استقر في الفطر السليمة والعقول الصحيحة، وأجلب أعداء الله تعالى بخيلهم ورجلهم وسعوا إلى بث هذا الانحراف في بلاد المسلمين، وجاء أقوام من هذه الأمة يتتبعون مسلك أولئك المنتكسين حذو القُذَّة بالقذة.

فلا عجب أن تظهر الحداثة ـ مثلاً ـ في بلاد المسلمين، بعد أن ظهرت في العالم الغربي، والتي تنادي برفض ماهو قديم وثابت ـ بما في ذلك المعتقدات والأخلاق ـ وتغيير المسلَّمات والحقائق الثابتة، وضرورة التحول والتطور من الأفكار القديمة إلى مواقف مستنيرة.

ثم «تؤصل» هذه الردة، وتقعّد، وتنشر في الآفاق عبر

ملاحق أدبية، ومجلات متخصصة، ومن خلال محاضرات وندوات ومهرجانات.

● وأخيراً فإن تقصير بعض علماء ودعاة أهل السنة تجاه هذا الانحراف الخطير (الردة) كان سبباً مساعداً في ظهوره واستفحاله، فلو أن علماء ودعاة أهل السنة قاموا بواجب التبليغ لدين الله تعالى، وإظهار عقيدة التوحيد، والتحذير من الردة وأنواعها ووسائلها، لماكان لمظاهر الكفر أن تنتشر كما هي عليه الآن. إن الناظر إلى حال بعض إخواننا من أهل السنة يرى تواكلاً وكسلاً، وتحميلاً للتبعات والمسئوليات على الآخرين، وتلاوماً فيما بينهم، ألا فليجتهد الجميع في الحرص على ما ينفع، وأن نسعى في تبليغ ديننا، والتحذير مما يضاده ويناقضه «ورحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة، وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين»(١) وبالله التوفيق.

---

(١) هذه عبارة سطّرها العلامة عبدالرحمن السعدي في القول السديد ص ٣٦.

الفهرس